

المحاضرة 01: تعريفات ومظاهر علم النفس النمو

يُعَدّ علم نفس النمو أحد أبرز فروع علم النفس العام، إذ يهدف إلى دراسة التحولات والتغيرات التي يمر بها الإنسان منذ لحظة التكوين الأولى، أي منذ اتحاد البويضة بالحيوان المنوي، وصولاً إلى مرحلة الشيخوخة. ويتم ذلك من خلال تناول مظاهر النمو المتعددة: النفسية، العقلية-المعرفية، الاجتماعية، الحسية-الحركية، الأخلاقية، الانفعالية والدينية، بغية تحديد خصائص كل مرحلة من مراحل الحياة والتفريق بين السلوك السوي والسلوك الشاذ. ويعتمد الباحثون في ذلك على جملة من المناهج والأساليب، فقد يستخدمون الدراسات التطورية أو يلجؤون إلى المنهج التجريبي أو منهج دراسة الحالة (المنهج العيادي).

وقد تنوعت الاتجاهات النظرية التي تناولت موضوع النمو بتنوع مدارسها وتوجهات أصحابها. ولأجل تسهيل الفهم، يميل بعض الباحثين إلى تصنيف هذه النماذج النظرية ضمن فئات مختلفة وفق معايير معينة. فهناك النماذج الشاملة التي تسعى إلى تفسير معظم مظاهر السلوك، مثل نظرية التحليل النفسي، وهناك نماذج أكثر تحديداً تركز على جوانب أساسية من السلوك. فعلى سبيل المثال، ركز بياجيه على النمو المعرفي، بينما اهتم فالون بالنمو الانفعالي، ووجّه تشومسكي اهتمامه نحو النمو اللغوي.

وعليه يُعدّ مقياس "علم نفس النمو" مادة أساسية لطلبة السنة الثانية علم النفس، لما له من دور في صقل قدراتهم العلمية والمعرفية، وتمكينهم كأخصائيين نفسانيين أو كآباء وأمّهات أو حتى كمعلمين، من فهم مظاهر وخصائص النمو الإنساني في مختلف مراحله.

أولاً: تعريفات:

- **تعريف علم النفس:** علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني والعمليات العقلية المختلفة بهدف وصفها، تحليلها، تفسيرها، التنبؤ بها وضبطها، سواء تعلق الأمر بالعمليات السوية (كما في علم النفس العام) أو غير السوية (كما في علم النفس المرضي). وتشمل موضوعاته عمليات معرفية مثل الإدراك، التذكر، التعلم، التفكير، حل المشكلات والإبداع، إضافة إلى الانفعالات والدوافع وغيرها.

- **تعريف النمو:** النمو هو سلسلة متتابعة ومنظمة من التغيرات التي يمر بها الإنسان منذ لحظة الإخصاب وحتى نهاية حياته، وتهدف هذه التغيرات إلى بلوغ النضج واستمراره. ويشمل النمو مظهرين أساسيين:

- **النمو التكويني (الكمي):** ويعني التغيرات الجسدية الملاحظة مثل الطول، الوزن، والحجم، وما يرتبط بها من نمو الأعضاء وبنيتها.
- **النمو الوظيفي (النوعي):** ويتمثل في التطور الإيجابي في وظائف الأعضاء والعمليات المعرفية والانفعالية والاجتماعية التي تميز سلوك الفرد في مختلف مراحل حياته.

ثانياً: مظاهر النمو :

يشير مفهوم النمو في معناه الضيق إلى التغيرات الجسدية كزيادة الطول والوزن والحجم الناتجة عن التفاعلات الكيميائية في الجسم، أما في معناه الواسع فيتعدى ذلك ليشمل أيضاً التغيرات في السلوك والمهارات تبعاً لأنشطة الفرد والخبرات التي يمر بها.

جوانب النمو	مظاهر النمو
زيادة الطول والوزن، تطور الهيكل العظمي، تغيرات الأنسجة والأعضاء، السمات الجسدية المميزة، تنمية القدرات الجسمية الخاصة.	النمو الجسدي
تطور وظائف أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز العصبي، والدورة الدموية، والتنفس، وضغط الدم وغيرها من العمليات الحيوية.	النمو الفسيولوجي
هو تطور حركة الجسم واكتساب المهارات الحركية اللازمة لممارسة مختلف أنشطة الحياة اليومية.	النمو الحركي
يتمثل في تطور الحواس المختلفة كالسمع والبصر والشم والتذوق والإحساسات الجلدية.	النمو الحسي
تطور العمليات العقلية العليا كالإدراك والانتباه والذاكرة والذكاء وغيرها من القدرات الذهنية.	النمو العقلي المعرفي

النمو اللغوي	تطور القدرة على التعبير بالكلام من حيث تنوع المفردات، بناء الجمل، ونطق الكلمات بشكل سليم.
النمو الانفعالي	تطور الانفعالات المختلفة كالغضب والخوف والهدوء وغيرها من المشاعر.
النمو الاجتماعي	تطور قدرة الفرد على التكيف والتفاعل داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع، واكتساب الأدوار والقيم الاجتماعية من خلال التنشئة وعلاقات الرفاق.
النمو الجنسي	تطور الجهاز التناسلي ووظائفه، وما يرتبط به من مظاهر سلوكية ذات أبعاد جسمية ونفسية.

تتسم مظاهر النمو المختلفة بالتكامل والترابط الوظيفي، فهي تنمو كوحدة متناسقة ومنسجمة، بحيث يؤدي أي اضطراب أو قصور في أحد جوانبها إلى التأثير المباشر على بقية المظاهر الأخرى.

ثالثاً: مراحل النمو (بشكل عام):

- مرحلة ما قبل الميلاد (من الإخصاب إلى الميلاد): تبدأ بتخصيب البويضة وتستمر حتى ولادة الطفل، وتشمل التغيرات الجنينية والتكوينية.
- مرحلة المهد (من الميلاد إلى سنتين) : أسرع مراحل النمو، يتطور فيها التعلق بالأم، والحواس، والحركات الأساسية كالمشي والكلام.
- مرحلة الطفولة المبكرة (من 3 إلى 5 سنوات - ما قبل المدرسة): يتطور فيها النمو اللغوي والحركي والاجتماعي، ويظهر الخيال واللعب ودعائم الشخصية.
- مرحلة الطفولة الوسطى (من 6 إلى 8 سنوات - السنوات الأولى من الابتدائي): يزداد النمو العقلي والمعرفي، وتترسخ مهارات القراءة والكتابة، مع ميل أوضح للتفاعل مع الرفاق.
- مرحلة الطفولة المتأخرة (من 9 إلى 11 سنة - السنوات الأخيرة من الابتدائي): تنمو القدرة على التعاون وتحمل المسؤولية، ويبرز التفكير المنطقي والقدرة على التنظيم.
- مرحلة المراهقة المبكرة (من 12 إلى 14 سنة - مرحلة المتوسط): بداية التغيرات الفسيولوجية والهرمونية، وصراعات الهوية، وبروز الميل إلى الاستقلال.
- مرحلة المراهقة الوسطى (من 15 إلى 17 سنة - المرحلة الثانوية): تتعمق التغيرات الانفعالية والاجتماعية، وينمو التفكير المجرد والبحث عن القيم.

- مرحلة المراهقة المتأخرة (من 18 إلى 21 سنة - المرحلة الجامعية): يكتمل النضج الجسمي والعقلي تدريجياً، وتظهر القدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرارات المستقبلية.

1. مرحلة الرشد (من 22 إلى 60 سنة): مرحلة الاستقرار النسبي، حيث يحقق الفرد ذاته مهنيًا وأسرياً واجتماعياً، وتترسخ النضج العاطفي والمعرفي.

2. مرحلة الشيخوخة (ما بعد 60 سنة): تبدأ فيها مظاهر التراجع الجسمي والوظيفي، لكن قد يرافقها نضج انفعالي وحكمة ناتجة عن الخبرة والتجارب الحياتية.

نشاط المحاضرة:

- هل ترى بأن النمو هو مراحل ثابتة لدى كل الأفراد؟ أم أنه يمكن أن يكون هناك تفاوت في بعض المراحل من حيث الخصائص ومن حيث المرحلة العمرية؟ مع التبرير.